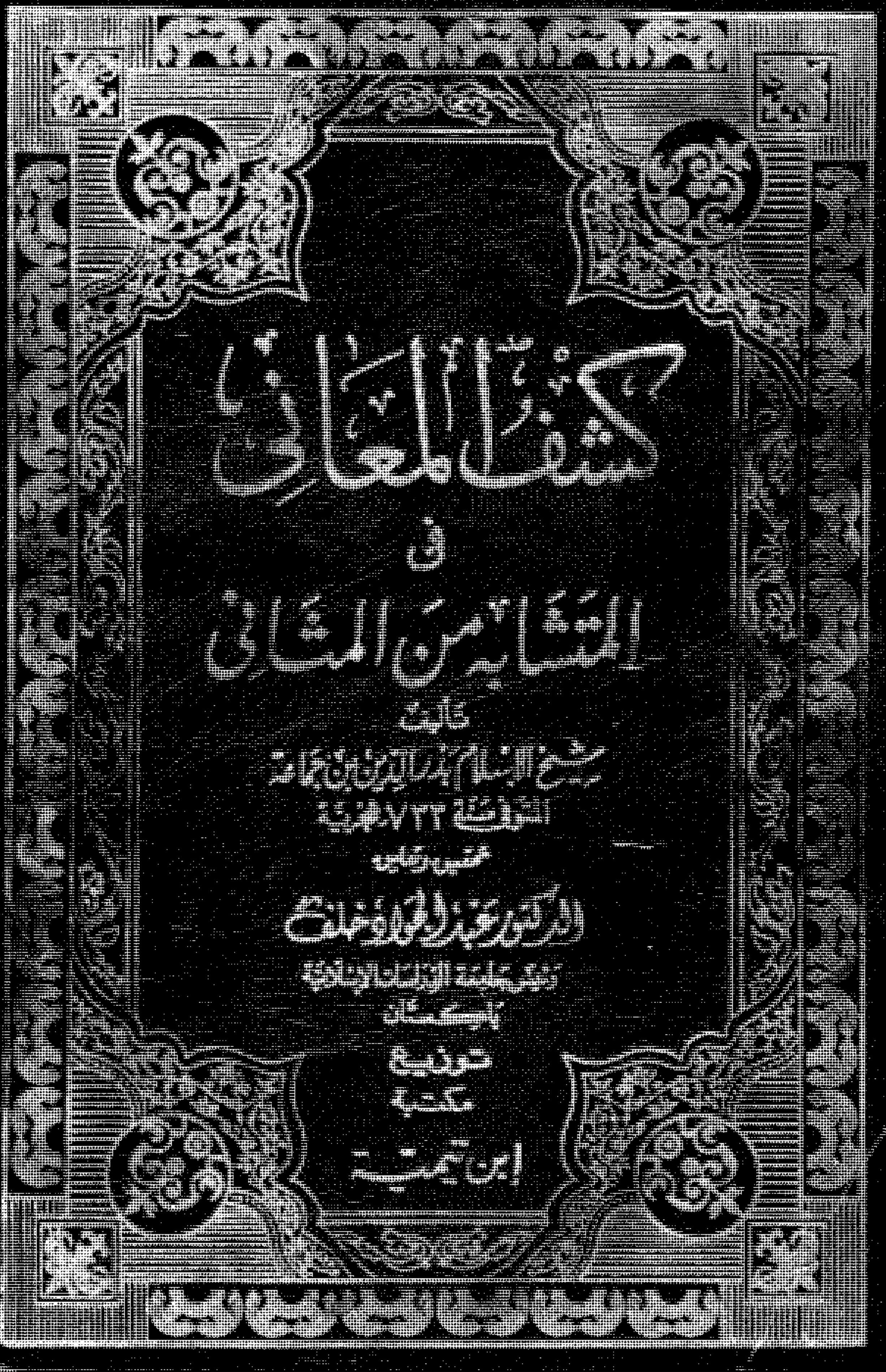

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م

توزيع

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣ ص . ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

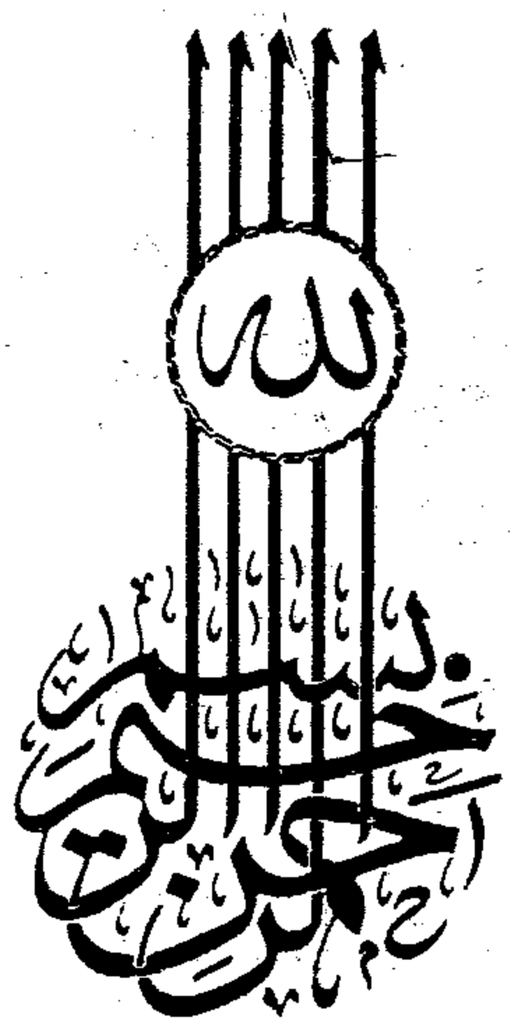

(٨)
سلسلة منشـورات
جامعة الدراسات الإسلامية
كراتشى ـ باكسـتان

كشف المعانى
فى
المتشابه من المثانى

تأليف
شيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة
المتوفى سنة ٧٣٣ هجرية

تحقيق وتعليق
الدكتور عبد الجواد خلف
رئيس جامعة الدراسات الإسلامية
باكستان

مقدمة المحقق

الكاتب.... و.....الكتاب

أولا: الكاتب:

نسبه وشيوخه وأوصافه :

نسبه:

القاضى بدر الدين بن جماعة مؤلف هذا الكتاب الذى بين يديك هو: (أبو عبد الله بدر الدين: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى).

ولد ليلة السبت الرابع من ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمائة هجرية وتوفى رحمه الله تعالى ليلة الاثنين الحادى والعشرين من جمادى الأول سنة سبعمائة وثلاثا وثلاثين: (٦٣٩هـ - ٧٣٣هـ).

امتد به العمر أربعا وتسعين سنة، فى كنف أسرة حموية عريقة فى بيت علم ومهابة.

عرفت أسرته بـ"بنى جماعة" نسبة إلى ثلاثة من الآباء والأجداد ينتهى نسبهم جميعا إلى"مالك بن كنانة".

فـ"جَمَاعَة"- بفتح الجيم - الجد القريب للقاضى بدر الدين هو:

(جماعة بن على بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله بن جماعة).

من ولد:"مالك بن كنانة" (١) .

ومالك بن كنانة: هو الجد العاشر فى سلسلة نسب رسول الله ﷺ (٢).

شيوخه:

تلقى أول علومه فى"حماة" مَهَاجِرَ أسرته قبل الفتح الإسلامى. وقد كانت "حماة" التى درج على ربوعها القاضى "بدر الدين بن جماعة" واحدة من أشهر مدن الشام وأنزهها، وتقع على نهر العاصى الذى يروى بساتينها العديدة بواسطة نواعيرها الشهيرة الضخمة وقد وصفها "ياقوت الحموى"- المعاصر لبدر الدين بن جماعة - بأنها:

> "مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات، رخيصة الأسعار، واسعة الرقعة، حفلة الأسواق يحيط بها سور محكم" (٣) .

وقد وصف الخانجى فى"المستدرك" على "معجم ياقوت"سور حماة

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: لمجير الدين الحنبلى ٢: ٤٩٣، معجم قبائل العرب لعمر كحالة ٣: ١٩٣.

(٢) راجع السيرة النبوية لابن هشام ١: ١.

(٣) معجم البلدان: لياقوت الحموى ٣: ٣٣٥.

بأن أهلها كانوا يعتقدون أن "حماة "محمية بهذا السور، وأن أهلها رددوا عبارة طريفة تُقرأ وتكتب طردا وعكسا وهى:

"سور حماة بربها محروس" (١).

ولعل أول تلقيه العلم فى بداية حياته كان على يد والده الشيخ الجليل"برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعة"المتوفى سنة (٦٧٥هـ) وكان من أفاضل علماء الشافعية، ولىّ التدرس فى بيت المقدس، وكان خطيبا فى حماة واشتهر بالزهد والورع (٢).

ثم تابع تلقى العلم على مشاهير علماء عصره فى شتى الفنون وتنقل من أجل ذلك فى العديد من بلاد الشام ومصر.

وكان من أشهر شيوخه:

١- شيخ الشيوخ: عبد العزيز الأنصارى، فى حماة.

٢- العلامة: جمال الدين محمد بن مالك - صاحب الألفية - فى حلب.

٣- القاضى: شمس الدين بن علان من أصحاب الخشوعى، فى دمشق.

٤- شيخ الإسلام: تقى الدين بن رزين، فى القاهرة.

٥- شيخ الإسلام: مجد الدين بن دقيق العيد فى مدينة قوص بصعيد مصر.

وغيرهم من مشاهير علماء وقته كـ : ابن البراذعى، وابن مسلمة، والرشيد العراقى، والرشيد العطار، والرضى بن البرهان، وابن عبد

(١) معجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان: للخانجى ٢: ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ٢: ٤٩٤.

الوارث، وابن القسطلانى، وابن عزون، وابن عبد الدائم، والكمال بن عبد، وابن أبى اليسر، وابن علاق، وأبو الفرج النجيب الحرانى، وابن عطاء الحنفى، وابن أبى عمر، وابن المتوج [1].

شخصيته: أوصافه الخَلْقية والخُلُقية:

أجمعت المصادر التى توفرت لنا لدراسة هذه الشخصية العلمية الجليلة شخصية القاضى "بدر الدين بن جماعة" أنّه كان: أبيض اللون، مسمتا، له شكل تام، وهيئة مليحة، ولحية مستديرة زانت لما شابت، وكان شيبها نقيا صافيا زادته حسنا وبهاء، وكان وقورا، هادئا، ساكنا، جليلا، وكان صوته نقيا فصيحا، طيبا بقراءة القرآن فى الصلاة، يأخذ بمجامع القلوب، ويشد آذان السامعين إليه عند الخطابة.

وكان جميل الثياب يتخير منها ما يناسب وقاره.

وكان حسن الأبصار بعينه، جيد السمع بأذنيه، لكن أصاب العطب سمعه وبصره قبل موته بست سنوات، فثقل سمعه، وأضرّ بصره لما امتد به العمر الذى بلغ أربعا وتسعين سنة، اجتمع له فيها من الوجاهة والعز ورفعة الشأن ما ندر أن يجتمع لغيره، مع وفرة ذكاء وكمال عقل، وجلال فى الصدور، ووقع فى النفوس.

ويكاد الحافظ ابن حجر ينفرد من بين أصحاب التراجم فى ذكر هذه الأوصاف جميعا للقاضى "بدر الدين بن جماعة" مما نقله عن الذهبى وغيره من تلاميذ هذا القاضى الجليل. [2]

---

(١) راجع: القاضى بدر الدين بن جماعة: حياته وآثاره للدكتور عبد الجواد ص: ٥٧-٨٤.

(٢) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة: لابن حجر ٣:٢٨٢.

أما أوصافه الْخُلُقيّة: فقد أجمعت كل المصادر التى ترجمت للقاضى بدر الدين على أنّه كان فى خُلُقه أجمل مما كان عليه فى هيئته وحسن طلعته، فلم يشذ مصدر منها عن وصفه بالورع والصيانة وكف الأذى عن الناس، ولين الجانب لهم، مع حسن الخلق والتودد لمعارفه وطلابه وغيرهم.

كما تخبرنا هذه المصادر أنّه مع كثرة أمواله وانبساط الدنيا بين يديه لم يشغف بزخرفها، ولم يفتتن ببريقها، وقد أتت له من كل جانب.

وكان مع كثرة أمواله مسعود الحظ فى وظائفه، حيث تقلد أهم وظائف الدولة فى عصره، ومع كل إقبال الدنيا عليه بشتى ألوانها وزخارفها فإنّه أمسك نفسه تماما عن الالتفات إليها، والتوجه نحوها، فأخذ نفسه بالتقشف والاقتصاد فى جميع أغراض حياته من مأكل وملبس، ومركب ومسكن، فجعل العفاف حليته، والكفاف غايته والعبادة مسلكه، يجمع هذه الأوصاف كلها العلاَّمة"ابن حجر"فيقول عنه:

"كان.. وافر العقل، حسن الهدى، متين الديانة ذا تعبد وأوراد، وكان فى ولايته الثانية قد كثرت أمواله فترك الأخذ على القضاء عِفَّة... وقال القطب: من بيت علم وزهادة، وكانت فيه رياسة وتودد، ولين جانب وحسن أخلاق، ومحاضرة حسنة، وقوة نفس فى الحق.قرأت بخط البدر النابلسى: كان علاَّمة وقته، ولى القضاء والخطابة والتصادير الكبار، ورزق الحظ فى كل ذلك، وبعد صيته، وطالت مدته، وحسنت سيرته، وكان متقشفا مقتصدا فى

مأكله ومركبه ومسكنه، حسن التربية من غير عنف ولاتخجيل" (١) .

ويقول عنه تلميذه السبكى فى طبقات الشافعية:

"متحل بالعفاف، متخل إلاّ عن مقدار الكفاف....

ذو عقل لايقوم أساطين الحكماء بما جمع فيه"(٢).

ويقول القاضى مجير الدين الحنبلى عنه:

"كان حسن السيرة له الجلالة والخلق الرضى" (٣) .

ويوجز ابن كثير هذا كله عنه فيقول:

"كل هذا مع الرياسة، والديانة، والصيانة، والورع وكف الأذى" (٤).

وكان ورعه جبلة وفطرة لاتكلفا وادعاء، كما لم يكن هذا الورع خاصابفترة معينة من فترات حياته، وإنّما كان ذلك منهجه ومسلكه طوال عمره المديد، اشتهر به فتى، وشابا، وشيخا، وهرما، حتى أنّ ابن حجر ساق عنه حادثة تدل على شدة التزامه بحدود الله تعالى فيقول:

"ومن ورعه أنّه لما ولى تدريس الكاملية رأى فى كتاب الوقف فى شرط الطلبة المبيت، فجمع ما كان أخذه وهو طالب وأعاده للوقف لأنّه كان لايبيت" (٥).

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥:٢٣٠، وراجع المختصر من أخبار البشر ٤: ١٠٨، وتاريخ ابن الوردى ٢: ٤٢٨.

(٣) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضى مجير الدين الحنبلى ٢: ٣٨٠.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ١٤: ١٦٣.

(٥) الدرر الكامنة لابن حجر ٣: ٢٨٣.

وكان من أخلاقه وسلوكه التواضع الجم، وعدم التعلُّق بالمناصب والفرح بها إن جاءت، أو الحزن عليها إن ذهبت، بل إنّه ركب إلى من خلفه فى منصب القضاء ليهنئه رغم أنّه عزل عنه عزلا، يقول ابن حجر:

"ولما عزل واستقر جلال الدين القزوينى مكانه ركب من منزله من مصر، وجاء إلى الصالحية حتى سلم عليه، فعُد ذلك من تواضعه"(١).

وله فى ذلك شعر لطيف من نظمه يقول فيه:

لم أطلب العلم للدنيا التى ابتغيت ... من المناصب أو للجاه والمالِ
لكن متابعة الأسلاف فيه كما ... كانوا فقدر ما قد كان من حالى(٢)

عصره ومنزلته فيه ومكانته

عصره:

عاصر ابن جماعة فترة من أدق وأحرج الفترات السياسية فى تاريخ الأمة الإسلامية كلها، وفى تاريخ المنطقة التى ولد وتنقل بين ربوعها، وهى سقوط الخلافة فى بغداد، وظهور دولة المماليك فى مصر والشام.

وقد أتاح له عمره المديد الذى عاشه أن يرى دولا تزول وتمضى، وعروشا تقام وتنصب، وحروبا ضارية تندلع فى شتى أنحاء العالم الإسلامى.

فعلى مستوى الأمة الإسلامية اجتاح العالم الإسلامى من الشرق قوة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء ٤: ١٠٨.

عاتية لاتعرف ربًا، ولاتؤمن بدين سوى السيطرة وسفك الدماء متمثلة فى التتار المغول.

وفى الغرب عاثت قوة عنصرية حاقدة ترى فى الإسلام منافسا خطيرا وعدوا لدينها لدودا تمثل فى الصليبيين.

بينما العداوة مستحكمة بين الأسر الحاكمة فى شتى أقطار الشعوب الإسلامية والتى جعلت من العالم الإسلامى دويلات متناحرة كالغوريين والخلجيين وآل تغلق فى الشرق.

عاصر ابن جماعة هذه الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامى من كل جانب والتى انقضَّت انقضاض الصواعق المهلكة على جسم الأمة الإسلامية.

وعلى مستوى البيئة التى ولد بين ربوعها ابن جماعة شهد فى أولى مراحل عمره انفكاك الوحدة الإسلامية بين مصر والشام عقب وفاة البطل "صلاح الدين الأيوبي" وتصارع أبنائه وأحفاده على السلطة ، ثم ظهور دولة المماليك عَقِبَ وفاة الصالح "نجم الدين أيوب" وتسلم جاريته وأم ولده "شجرة الدر" زمام الأمور، وإعادة وحدة البلاد مصرا وشاما، ودحر الصليبيين، وأسر ملك فرنسا "لويس التاسع".

لم يكن عمر القاضي "بدر الدين" عند قيام دولة المماليك البحرية متمثلة في شخصية "عز الدين أيبك" يزيد على عشر سنين .

ولم تمض سوى سنوات قليلة على قيام دولة المماليك في مصر حتى بَسَطَتْ نفوذها على الشام كله، وأحكمت قبضتها من الفرات شمالا وشرقا، إلى صعيد مصر وبلاد النوبة جنوبا وغربا .

عاش "ابن جماعة" في ظل دولة المماليك البحرية أكثر من ثمانين سنة عاصر من سلاطينها اثنى عشر سلطانا وهم على التوالى:

عز الدين أيبك، وسيف الدين قطز، والظاهر ركن الدين بيبرس الأول، وناصر الدين محمد بن بركة بن بيبرس، وبدر الدين بن سلامش بن بيبرس أيضا، وسيف الدين قلاوون، والأشرف خليل بن قلاوون، والناصر محمد بن قلاوون أيضا الذى تولى السلطنة ثلاث مرات اغتصبها منه فى المرة الأولى مملوك أبيه زين الدين كتبغا، ومن بعده: حسام الدين لاجين مملوك أبيه أيضا، واغتصبها فى المرة الثانية بيبرس الجاشنكر، وعاد محمد بن قلاوون فى الولاية الثالثة على سلطنة مصر والشام حيث توفى"ابن جماعة"فى هذه الفترة سنة (٧٣٣هـ) كما قدمنا.

وكان أهم هؤلاء الملوك أثرا من الناحية السياسية والحربية والاجتماعية: سيف الدين قطز، وبيبرس الأول، وقلاوون، والملك الأشرف، والناصر محمد بن قلاوون الذى كان أطول ملوك الإسلام عهدا فى تولى الحكم، كما تولى الحكم من بعده من أولاده وأحفاده ثلاثة عشر ملكا على التوالى دون انقطاع حتى قيام الدولة المملوكية الثانية وهم: المماليك الجراكسة أو المماليك البرجية سنة (٧٨٤هـ).

وكان الطابع المميز لهؤلاء السلاطين جميعا أنّهم مماليك اشتراهم ملوك الدولة الأيوبية وربّوهم تربية عسكرية فى مدارس خاصة أنشئت خصيصا لهم فى قلعة "صلاح الدين" عرفت باسم: (الطباق).

وكان أسعدهم حظا وأعظمهم مقدرة من تفك رقبته ويصبح حرا بأمر السلطان ليتولى إمرة عشرة أو خمسين أو ألفا من الجنود. (١)

وكانت دولة المماليك البحرية هى القوة الوحيدة فى العالم التى تكسرت على صخرتها قوة التتار العاتية الزاحفة من الشرق، وكان ذلك بمثابة

---

(١) راجع القاضى بدر الدين بن جماعة حياته وآثاره للدكتور عبد الجواد ص: ٩٧-١٠٤.

رد اعتبار حاسم للأمة الإسلامية وأخذ لثأرها من الهجوم الوحشى على بغداد.

وكان أهم المواقع الحربية التى خاضها المماليك ضد التتار موقعة"عين جالوت"بقيادة السلطان المظفر قطز فى رمضان سنة (٦٥٨هـ) أى: بعد سقوط بغداد بسنتين اثنتين فقط، ثم موقعة"حمص"بقيادة السلطان قلاوون فى رجب سنة (٦٨٠هـ)، وموقعة "شقحف" سنة (٧٠٢هـ) بقيادة السلطان الناصر محمد بن قلاوون (١).

ولم يتوقف نشاط المماليك السياسى والحربى عند صد المعتدين، بل اتجهوا إلى الفتوحات وتوسيع رقعة الدولة وعقد المعاهدات الدولية مع دول الجوار، وحفاظهم على استقلال البلاد وبسط نفوذهم تماما عليها بحيث أعادوا للدولة هيبتها وشوكتها فى نفوس أعدائهم من الصليبين، وحافظوا بصورة خاصة على بلاد الشام وحلب واعتبروهما جزءا من مصر لايتجزأ، وعنوا بالبلاد الشامية عنايتهم بالبلاد المصرية، ونسقوها من الناحية الإدارية نسقا مشابها للتنسيق الإدارى المصرى تقريبا، فقسمت مدن الشام ومصر إلى نيابات يعين السلطان لكل نيابة منها نائبا: أما مصر فقد قسمت إلى أربع عشرة ولاية فى الوجهين البحرى والقبلى، وأما الشام فقُسِّم إلى ست نيابات هى: (دمشق، وحلب، وحماة، وطرابلس، وصفد، وكرك) وكان للشام كله نائب واحد يسمى: (نائب الشام) له ما للسلطان فى مصر من : وزير، وحاجب، وناظر نُظَّار، وصاحب ديوان الإنشاء، وقاضى القضاة (٢).

وقد اندمج سكان مصر والشام اندماجا عجيبا جعل منهم مزيجا عربيا

---

(١) راجع تفاصيل هذه المعركة عند ابن كثير فى البداية والنهاية ١٤:٢٦.

(٢) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧: ١٦٨، نظم دولة المماليك ورسومهم فى مصر للدكتور ماجد ١:٨٦.

وإسلاميا مدهشا من أهل المشرق والمغرب، واختلط هؤلاء جميعا بالترك والمغول، وعاشت الطوائف والجاليات الأخرى كالمسيحيين وغيرهم جنبا إلى جنب فى كنف دولة المماليك مع السواد الأعظم من المسلمين لهم مالهم، وعليهم ما عليهم.

وقد تمتع العلماء باحترام سلاطين المماليك لهم بصفة عامة عزاها بعض الباحثين إلى أنّها نزعة ورثوها عن أساتذتهم الأيوبيين (١).

ولهذا امتلأ عصر المماليك بالعديد من العلماء ذوى السمعة الطيبة، والمكانة الممتازة، والغيرة على العلم والدين.. ولازالت أسماؤهم كالمصابيح المضاءة فى ليالى الزمن منهم على سبيل المثال: تقى الدين بن دقيق العيد، وتقى الدين ابن بنت الأعز، وجلال الدين القزوينى، وصدر الدين الحنفى، وتقى الدين السبكى، وتاج الدين السبكى، وصدر الدين بن الوكيل، وكمال الدين بن الزملكانى، وعماد الدين بن كثير، وشمس الدين الذهبى، ناهيك عن سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام، والعلامة النووى، وشيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية وغيرهم وغيرهم من المشاهير.

وانتشرت المدارس فى جميع مدن الدولة فى تخصصات مختلفة، وراجت حركة التأليف، وظهرت الموسوعات العلمية فى مختلف العلوم والفنون، وأصبحت القاهرة عاصمة الدولة المملوكية حاضرة لأمبراطورية شاسعة متحدة تزخر بالعديد من العلماء الأفذاذ، وخطب ودها ملوك أوربا واسيا (٢).

أما قاضى القضاة شيخ الإسلام "أبو عبد الله بدر الدين بن جماعة"

---

(١) راجع عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى لمحمود رزق سليم المجلد السادس، القسم الثانى ١:٧.

(٢) التاريخ الإسلامى للدكتور أحمد شلبى ٥:١٩٣.

صاحب هذا الكتاب الذى بين يديك، فإنّ أى باحث منقب فى مصادر تاريخ عصر المماليك خاصة مابين سنتى (٦٣٩هـ - ٧٣٣هـ) لايسعه إلاّ أن يقرر أنه كان من أهم وأرفع الشخصيات العلمية ذات الأثر البارز فى عصره وبين زملائه من الشيوخ والعلماء، سواء من الناحية العلمية والفكرية، أو السياسية والاجتماعية بحيث كان مختار السلاطين للقضاء رغم كثرة القضاة، ومختار العلماء لرئاسة المدارس والهيئات العلمية رغم كثرة العلماء.

وترجع مكانة "ابن جماعة" فى عصره وبين أقرانه إلى علمه وشخصيته لا إلى حسبه ونسبه، وسرعان ماذاع صيته وعلت منزلته، وانتقلت أخباره فى كل مدن الدولة كما ذاع فضله وانتشر من بين جدران الفصول الدراسية إلى مجالس القصور ومسامع السلاطين والوزراء فى القاهرة والقدس ودمشق.

وكان أول ظهور رسمى للقاضى "بدر الدين بن جماعة" على مسرح الأحداث فى دولة المماليك فى رمضان سنة (٦٨٧هـ) عند ما عين خطيبا بالمسجد الأقصى وقاضيا لبيت المقدس، وكان أول من تنبه إلى علم الرجل وفضله ومنزلته الوزير شمس الدين بن السلعوس الذى عينه السلطان الأشرف خليل بن قلاوون محتسبا فى دمشق سنة (٦٨٧هـ) ثم وزيرا فى القاهرة سنة (٦٩٠هـ).

ثم بدأ نجم الرجل يلمع علما وفضلا وخلقا وأدبا بما وكل إليه من مناصب، وبما ألف من كتب، وبمن تخرج على يديه من طلاب علم صاروا أعلام هداية، ورجال فكر سَطَّر التاريخ أسماءهم بحروف من نور.

مناصبه التى تولاها في دولة المماليك:

١- القضاء:

كان القضاء - ولايزال - من أخطر الوظائف شأنا، وأرفعها منزلة، وعده القلقشندى من الوظائف الدينية ذات المنصب الرفيع، وموضوعه التحدث فى الأحكام الشرعية، والفصل بين الخصومات، ونصب النواب على الأقاليم (١)، وكان القضاء مقصورا على قاض واحد بالديار المصرية من أى مذهب، إلى أن استقر الحال فى زمن الملك الظاهر بيبرس سنة (٦٦٣هـ) على أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة يرأسهم "قاضى القضاة" على أن يكون شافعى المذهب (٢)، وكان مقره فى القاهرة بالنسبة لمصر، ودمشق بالنسبة للشام، وكان يعين نوابه فى الأقاليم ويتخذ من المساجد أو المدارس التى يعمل بها إلى جانب القضاء مقرا لعقد جلسات الحكم، ولهم زى خاص بهم، وسجن لتنفيذ الأحكام، ووالى للشرطة مكلف بتنفيذ ذلك.

وقد ظل "ابن جماعة" على منصب قاضى القضاة أربعين سنة فى دولة المماليك، ما إن يعزله السلطان حتى يحتاج إليه، وكثيرا ما ترك أخذ الأجر على القضاء عِفَّةً.

١ - تولى القضاء على القدس فى رمضان سنة (٦٨٧هـ) ومع القضاء خطابة المسجد الأقصى والإمامة فيه (٣).

---

(١) صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء للقلقشندى ٤:٣٤.

(٢) حسن المحاضرة للسيوطى ٢:١١١ - ١١٢.

(٣) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلى ٢:٤٨٠.

ب - قضاء القضاة فى مصر من (١٤ رمضان ٦٩٠هـ)، وأعفى من منصبه فى صفر سنة (٦٩٣هـ) (١).

ج - قضاء القضاة فى الشام من (١٤ ذى الحجة ٦٩٣هـ) ثم أعفى منه فى جمادى الآخرة سنة (٦٩٦هـ) (٢).

د - قضاء القضاة فى الشام للمرة الثانية من يوم الخميس (١٥ شعبان سنة ٦٩٩هـ) حتى (صفر ٧٠٢هـ) (٣).

هـ - قضاء القضاة فى مصر "للمرة الثانية" فى يوم السبت (٤ ربيع الأول (٧٠٢هـ) واستمر قاضيا بمصر إلى أن أضر بصره وأدركته الشيخوخة فطلب إعفاءه من منصبه فأجيب إلى ذلك فى جمادى الآخرة سنة (٧٢٧هـ)، وبقى له الاحترام الكامل عند السلطان والعلماء والوجهاء والعوام حتى وافته المنية سنة (٧٣٣هـ).

وله فى ذلك من نظمه أبياتا رواها عنه ابنه قاضى القضاة "عز الدين بن جماعة" وفيها يقول:

وليت القضاء وما اخترته وكم من حريص سعى جهده
يروم القضاء ويعنى به وربك عن ذلك قد صده
ويحسد من ناله ظالما حليف هموم غدت عنده (٤)

ولما كان يتولى مع القضاء خطابة أشهر مساجد مصر والشام، كالمسجد الأقصى والمسجد الأموى فى دمشق، والجامع الأزهر فى مصر

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٣:٣٢٢ - ٣٣٥.

(٢) انظر المصدر السابق .

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) مخطوطة نزهة الألباء للعز بن جماعة اللوحة رقم :٦.

أحَبَّ الإمامة والخطابة وعبر عن ذلك بنفسه فى أبيات قال فيها:

يا لهف نفسى لو تدوم خطابتى ... بالجامع الأقصى وجامع جلق [١]

ما كان أهنى عيشنا وألذه ... فيها وذاك طراز عمرى لو بقى

الدين فيه سالم من هفوة ... والرزق فوق كفاية المسترزق

والناس كلهم صديق صاحب ... داع وطالب دعوة بترقق [٢]

وكان من أشهر القضايا التى عرضت عليه ثلاث قضايا وهى:

القضية الأولى:

محاكمة شيخ الإسلام العلامة تقى الدين بن تيمية: التى رفعها الصوفية ضده سنة (٧٠٧هـ) مدعين عليه أنه ينتقص من علمائهم فى مجالسه، وأنّه ينتقص من كرامة النبى ﷺ بقوله: لايستغاث بالنبى ولا بغيره والقضية مشهورة فى كتب التاريخ [٣].

القضية الثانية:

محاكمة علاء الدين بن الأثير المتوفى سنة (٧٣٠هـ) بتهمة حمل رسالة مزورة بتنازل سلطان الوقت محمد بن قلاوون عن السلطنة إلى مملوك أبيه "الظاهر بيبرس الجاشنكير" فقدم للمحاكمة سنة (٧٠٨هـ).[٤]

القضية الثالثة:

قضية بركة الحبش: وبركة الحبش: قال عنها المقريزى إنها من أشهر

---

(١) جلق: الاسم القديم لدمشق، ويقصد المسجد الأموى.

(٢) الوافى بالوفيات للصفدى ٢:١٩، ونكت الهميان للصفدى ص:٢٣٦.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٤:٤٥ - ٤٦، وكتابنا القاضى بدر الدين بن جماعة حياته وآثاره ص:١٦٥ - ١٧٠.

(٤) كنز الدرر وجامع الغرر للدواداري ٩:١٨٤ - ١٨٥.

برك مصر، فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين الجبل والنيل، كانت من الموات فاستنبتها "قرة بن شريك العنبسى" أمير مصر وأحياها وغرسها قصبا، وعرفت بـ "أصطبل قرة" ثم عرفت بعد ذلك بـ "أصطبل قامش" ودخلت فى ملك "أبى بكر المادانى" فجعلها وقفا على آل البيت من بنى الحسن والحسين بالسوية، فتنازعوها فى زمن القاضى "بدر الدين بن جماعة" وقدمت القضية بين يديه (١).

ويشهد المؤرخون المعاصرون لابن جماعة، وكتاب التراجم والسير بأنّه كان نزيها محمود القضاء، متعففا عن أخذ الأجرة عليه:

يقول تلميذه شمس الدين الذهبى:

"كان من خيار القضاة" (٢).

ويقول أبو الفداء فى تاريخه:

"تنزه عن معلوم القضاء لغناه مدة" (٣).

ويقول اليافعى فى مرآته:

"طلب لقضاء مصر بعد ابن دقيق العيد،وامتدت أيامه، وحمدت أحكامه.. وحسنت أعماله، وترك الأخذ على القضاء عفة،.... وكان يتثبت فى قضائه... وله وقع فى القلوب وجلالة فى الصدور" (٤).

ويقول ابن العماد فى الشذرات:

(١) الخطط للمقريزى ٣:٢٤٨ - ٢٤٩، حسن المحاضرة للسيوطى ٢:٢٢٩.

(٢) دول الإسلام للذهبى ٤:٢٨٧.

(٣) المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء ٤:١٠٨.

(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعى ٤:٢٨٧.